التفسير الموضوعي تاريخه ومراحله

الباحثة/ مريم بنت سعود بن إبراهيم التميمي
محاضر بجامعة سطام بن عبدالعزيز
قسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
طالبة دكتوراه بجامعة الملك سعود- كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية- تفسير وحديث

مقدمة:

الحمد لله منزل الكتاب، متفضل به على العباد، أودع فيه خيرات وهو خير عماد، ولقاصده جزيل أجرٍ وفضل وثواب، يتسابق فيه أولو الألباب، والصلاة والسلام على النبي المصطفى خير معلم للكتاب، ولأمته بالخيرات جاد، محمد بن عبد الله وعلى أشرف الأنبياء والمرسلين ومن تبعه واقتفى أثره إلى يوم المعاد ... وبعد:

يُعدّ التفسير الموضوعي منهجًا[1] جديدًا في حقل الدراسات القرآنية؛ لذا تسابق الباحثون في مضماره، وكل قدّم بضاعته حسب ما جمعه وتوصّل إليه باجتهاده، ثم إن الناظر في تعدد المناهج المعروضة فيه واختلافها يصل إلى أن هذه الجهود تسعى وتَصْبُ إلى نشره، والنهوض به علمًا مستقلًا، وفرعًا من فروع التفسير يخدم القرآن الكريم.

فالتفسير الموضوعي منذ ظهوره إلى ما هو عليه الآن قطع شوطًا كبيرًا في ميدان العلوم الشرعية، وما ذاك التسارع في رحلته إلا رجوعًا للهدف الذي أوجد من أجله وهو خدمة كتاب الله ﷻ، والذي هو جزء من الحفظ لكتابه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فلا ضير أن تنشأ العلوم وتسخر وتتسارع، وتتسع الجهود وتتعاون لخدمة وبيان كتاب الله ﷻ، وبيانًا لقول علي ﷺ فيه وصفه القرآن:(..هو الذي لا تزيغ به الأهواء،ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه

[1] إذ بين د.زيد العيص أنه يعد منهجًا لا اتجاهًا، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، زيد عمر العيص، مكتبة الرشد،-الرياض-،الطبعة الأولى، ١٤٢٦،١هـ .ص: ٣١.

العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ..)[1]، فكتاب الله العزيز نبع معين تخرج منه العلوم وتستقي مادتها منه، وأحسن العلامة الصنعاني لما أنشد في بيان فضل كتاب الله وشرفه وإعجازه إذ قال:

كتاب حوى كل العلوم وكل ما حواه من العلم الشريف صواب[2]

أهمية البحث:

١- أن التفسير الموضوعي ظهر لخدمة كتاب الله ﷻ، وتكاتفت الجهود فيه للرجوع إليه.

٢- أن معرفة تاريخ والمراحل التي مر بها التفسير الموضوعي تبيّن قدرة ومنزلته وأثره.

٣- أن الاطلاع على تاريخ ومراحل التفسير الموضوعي تمكن وتحث الباحثين والدارسين لبذل الجهد والسعي لخدمة كتاب اللهﷻ في ميادين كثيرة.

أهداف البحث:

١- بيان المراحل التي مرّ بها التفسير الموضوعي.

٢- التعريف بأهمية التفسير الموضوعي والجهود المبذولة فيه.

٣- بيان نتائج معرفة تاريخ التفسير الموضوعي ومراحله وآثارها.

خطة البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأهدافه، وخطة البحث.

المبحث الأول: المرحلة الأولى: نشأة التفسير الموضوعي. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي في مؤلفات علوم القرآن.

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي والمعتزلة.

المطلب الرابع: التفسير الموضوعي والتفسير الفقهي.

المطلب الخامس: التفسير الموضوعي والعصر الحديث.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، [٥/١٧٣(٢٩٠٦)].

[2] ديوان الصنعاني، دار التنوير، -بيروت. لبنان- ط ١٤٠٣هـ، ص: ٦٦.

المبحث الثاني: المرحلة الثانية: تأسيس التفسير الموضوعي وتأصيله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: مجالات التفسير الموضوعي وألوانه.

المطلب الثالث: كيفية البحث في التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: المرحلة الثالثة: بروز أهمية التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية وأثره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بروز أهمية التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية.

المطلب الثاني: أثر التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية.

المبحث الرابع: نماذج تطبيقيه لألوان التفسير الموضوعي. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية للتفسير الموضوعي للفظ القرآني.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فالله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يفقهنا في كتابه، ويرزقنا خدمته، ويزيدنا به علمًا ويرزقنا به عملًا، وجزاءً وأجرًا، فهذا جهد مقل، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله المستعان، وعليه التكلان.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ.

المبحث الأول

المرحلة الأولى: نشأة التفسير الموضوعي

وُصِفَتْ هذه المرحلة بتاريخ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مع أن الباحثين قد يتفقون في عرض تاريخ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، إلا أنهم في استعراضهم له أظهروا بعض وجهات نظرهم فيه، وأستعرض هنا تاريخ التفسير الموضوعي، وشيئًا من رأيهم فيه إجمالًا، وتدور حول خمسة أقطاب أساسية فيه، وهي على الوجه التالي:

المطلب الأول: التفسير الموضوعي وتفسير القرآن بالقرآن:

رأى بعض الباحثين أن التفسير الموضوعي لا يخرج عن تفسير القرآن بالقرآن، إذ أن تفسير الرسولﷺ لبعض آيات القرآن بالقرآن يصلح أن يكون لبنة أولى لهذا اللون التفسيري، ومن أشهر ما مُثّل على ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:« لما نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه!. فقال رسول الله ﷺ : ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣] »[1]، وغيرها من الآيات التي فسرها الرسول ﷺ بآيات أُخر من القرآن الكريم.

وكذا ما كان عند مفسري الصحابة والتابعين، فمن أظهر الآثار في ذلك ما عُرف بمسائل نافع الأزرق لابن عباس ﷺ، حينما أخبره أنه يجد آيات في القرآن تختلف عليه– أي تشكل وتضطرب لأن بين ظواهرها تدافعًا– فأجابه ابن عباسﷺ جامعًا بينها بآيات أخر من القرآن الكريم[2].

---

[1] أخرجه البخاري،[كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم،باب ما جاء في المتأولين (٦٩٣٧/١٨/٩)]ومسلم، [كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١٢٤/٧٥/١)].

[2] انظر: صحيح البخاري، [كتاب التفسير،باب سورة حم السجدة، (١٢٧/٦) بداية الباب وقبل حديث (٤٨١٦)]، وللتوسع في شرح هذا الأثر انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٥٧/٨–٥٥٨).

إلا أن بعض الباحثين عقبوا على مثل هذه التفاسير بأنها لا تعد تفسيرًا موضوعيًا، فبعضهم عد أن هذا يعد تأصيلًا لتفسير القرآن بالقرآن[١]، وهو في ذات الوقت يتشابه مع التفسير الموضوعي في الشكل والمبدأ لا في المقصد والمفهوم والمنهج.[٢] بينما أشار غيره إلى أنه يدل على مسألة وهي أن تتبع الألفاظ كانت حاضرة في ذهن السلف.[٣]

وذهب بعضهم إلى أن هذه التفاسير تعد مرحلة التأسيس والتأكيد للتفسير الموضوعي القائمة على التجميع للآيات.[٤]

وظل قول البعض الآخر على اعتبار أن هذه التفاسير بدايات تمهيدية ولبنات أولية للتفسير الموضوعي.[٥]

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي في مؤلفات علوم القرآن:

حينما توجه بعض العلماء في مؤلفاتهم إلى جمع الآيات القرآنية المندرجة تحت أحد مباحث علوم القرآن عدّ بعض الباحثين في التفسير الموضوعي أن هذا يعد خطوة مميزة له عن تفسير القرآن بالقرآن، فهذا التوجه في التأليف يحاكي ويشابه التفسير الموضوعي في جمع الآيات حول موضوع معين.

وكان ظهور ذلك في بداية القرن الثاني الهجري، فمن ذلك: كتاب (الناسخ والمنسوخ) لقتادة السدوسي، وكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب (التبيان في أقسام القرآن) لابن القيم، وغيرها من الكتب.

وقد تباينت أراء الباحثين حول هذه المؤلفات فمنهم من عدها صالحة لأن تكون لبنات في التفسير الموضوعي وإن لم تكن بالمعنى المراد عنده[٦]، وآخرون بينوا بعد تصنيفها وتأملها أنها لا تخرج عن الإطار العام للتفسير التحليلي، ولا تدخل في نطاق

---

[١] ارجع للاستزادة في ذلك للكتب التي تكلمت عن أصول التفسير، مثل: فصول في أصول التفسير. د.مساعد الطيار، ومعالم في أصول التفسير. د.ناصر المنيع، وغيرها من الكتب التي صُنفت في هذا الباب وتكلمت عنه.

[٢] انظر:منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،سامر رشواني، دار الملتقى، –سوريا–، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ه،ص: ٧٦–٧٧.

[٣] انظر:التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص: ٣٣.

[٤] انظر:التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقًا، أحمد رحماني، جامعة بانة،–الجزائر–، ص: ١٠٨.

[٥] انظر:مباحث في التفسير الموضوعي،مصطفى مسلم، دار القلم، –دمشق–، الطبعة الثالثة–، ١٤٢١ه، ص: ١٧، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس،–الأردن– الطبعة الثانية، ١٤٢٨ه، ص: ٣٧.

[٦] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:٤٢.

التفسير الموضوعي،[١] وهي لا تعدو كونها تجميعًا لعدد من قضايا التفسير التجزيئي لُوحظ فيما بينها شيء من التشابه.[٢]

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي والمعتزلة:

ذهب الدكتور مصطفى الجويني بالقول إلى أن ما يملكه المعتزلة من ثقافة فلسفية منطقية تمكنهم من النظر الشامل، والتقصي الجزئي لآي القرآن، وموضوعاته يجعل لهم الفضل في بدايات ظهور التفسير الموضوعي، وقد مثل على ذلك بكتابات الجاحظ عن النار في القرآن، والملائكة في القرآن، ومواضيع أخرى.[٣]

بينما أضاف بعض الباحثين الذين أوردوا قوله مع بسط شيئًا من رأيهم فيه، فهذا الدكتور سامر رشواني خلص بالقول إلى أن ثمة رابط بين ظهور التفسير الموضوعي عند المعتزلة الذين عرفوا باهتمامهم بالعقل والعودة للاهتمام بالعقل في العصر الحديث فهو كالخيط الدقيق[٤] . إلا أن الدكتور زيد العيص بعد أن وَهّى الحجة التي ذكرها الجويني عن المعتزلة ثم أيده فيما توصل إليه أنهم لم يطبقوا منهج التفسير الموضوعي بتفصيلاته كما هو عليه اليوم، ثم عقب على ذلك بقوله: لو أن القضية تدور حول التجميع الموضوعي، كما عارض الدكتور أحمد رحماني الدكتور الفرماوي، إذ رأى أحمد رحماني أن فضل السبق في مجال الجمع من نصيب النووي، رادًا على الفرماوي القائل برجوع ذلك إلى كلية أصول الدين بالأزهر لكان الأمر بالسهولة بمكان إذ أن تراث السابقين بارز في قضية التجميع، وضرب على ذلك بما عند الإمام الشافعي في كتابه الرسالة.[٥]

المطلب الرابع: التفسير الموضوعي والتفسير الفقهي:

إن ما قام به الفقهاء في كتب تفاسير آيات الأحكام والتي تقوم على جمع الآيات التي لها صلة بموضوع واحد لتفسيره كالصلاة والحج، والوضوء، وغيرها ...

---

[١] التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص:٣٤.منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ص:٧٨.

[٢] التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية، باقر الصدر، الطبعة الأولى، دار العالمية للطباعة،-بيروت-، ١٤٠٩ه، ص:٢٤.

[٣] مناهج التفسير، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف،الأسكندرية،١٩٧١، ص: ١٥٨.

[٤] منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ص: ٨١.

[٥] انظر:التفسير الموضوعي التاصيل والتمثيل،ص:٣٥-٣٨.

اختلفت آراء الباحثين في تصنيفها، فقد عدّه الدكتور مصطفى مسلم لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى [١]، والدكتور أحمد رحماني جعله مرحلة من مراحل التفسير الموضوعي إلا أنه لم يمارس بالصورة التي عليه اليوم.[٢] في حين فرق الدكتور سامر رشواني بين نوعين من تفاسير الأحكام أحدها يقوم على مجرد استقراء آيات الأحكام في موضوع عام ومن ثم ترتب نتائج الاستقراء على نسق سور المصحف الشريف، وآخر تُصَنف فيه النتائج على العناوين الفرعية لذلك الموضوع، ثم بين أن الأول تفسير تجزيئي تسلسلي، والآخر يقترب من طريقة التفسير الموضوعي، بعد ذلك أخبر أن التفاسير الفقهية عند أهل السنة وفق المنهج الأول بخلاف الحال عند مفسري الشيعة، وضرب مثالًا على النوعين ليستظهر الفرق بينهما.[٣] في حين أقر الدكتور زيد العيص عمل هؤلاء الفقهاء الذين تابعوا فيه أصحاب التفسير التحليلي مع القرب خطوة من التفسير الموضوعي في مسألة الانتقاء والعزل التي تميزها عن كتب التفسير التحليلي.[٤] وكان ما ذهب إليه الدكتور باقر الصدر في تقويم هذه الكتب محل اتفاق أغلب الباحثين إذ يقول: " إن هذه الدراسات ليست في الحقيقة إلا تجميعًا عدديًا لقضايا من التفسير التجزئي لوحظ فيما بينها شيء من التشابه، وبكلمة أخرى ليست كل عملية تجميع، أو عزل دراسة موضوعية"[٥] .

المطلب الخامس: التفسير الموضوعي والعصر الحديث:

توالت الدراسات القرآنية الموضوعية بعد ذلك ونَحتْ مَنحىً بارزًا، فظهرت مدارس ذات منهج عرف أصحابها بانتهاجهم له فألحقوا بها، فمدرسة المنار التي استحدثت التفسير الموضوعي بجهود الإمام محمد عبده، ثم تلميذه رشيد رضا، عدها الكثير من الباحثين المنطلق الفعلي للتفسير الموضوعي[٦]، ومن ثم مدرسة الأمناء التي

---

[١] مباحث في التفسير الموضوعي،ص:١٩.

[٢] التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقًا،ص: ١١١.

[٣] منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ص: ٩٠-٩٥.

[٤] التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص: ٤٠-٤١.

[٥] التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية، ص: ٢٤.

[٦] انظر:التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص:٦٠،منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ص:١١٠.

تقوم على العناية بالجانب الأدبي (البياني) في تفسير القرآن على يد أمين الخولي[1]، فكل من اتبع منهج أحد المدرستين حين ذاك في التأليف في التفسير الموضوعي عُدَّ منها .

ولا نغفل جهود المستشرقين في التفسير الموضوعي إذ قدموا دراسات في هذا الميدان، ولعل أشهرها المعاجم في موضوعات القرآن الكريم.[2]

ثم تدفقت الدراسات والبحوث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم... وأصبح لها منهج وأصول يتبعها المبحرون في التأليف فيه.

من خلال هذا السير الذي مرّ به التفسير الموضوعي بغض النظر عما ألمح فيه الباحثون إلا أن لها تأثيرًا في مسيرته حتى تمايز وظهر بالشكل الذي عرف واصطلح عليه اليوم، ويمكن القول إن آراء الباحثين في نشأة التفسير الموضوعي وتاريخه كلها تدور في ميدان اختلاف التنوع من قريب أو بعيد.

---

[1] انظر:منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص:١١٣،إذ أشار إلى مدرسة المنار ومدرسة الأمناء وخطواتهم وشروطهم ونماذج عليهم .

[2] وقد عرضها غير ما واحد ممن كتب في التفسير الموضوعي وقدموا تعريفًا بها وبمنهجها،انظر:التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص:١٨٤-١٩١،التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،ص: ٧٣-٧٤...وغيرهم.

المبحث الثاني

المرحلة الثانية: تأسيس التفسير الموضوعي وتأصيله.

بعد تلك المرحلة بمحطاتها المتوالية التي مرّ بها التفسير الموضوعي توجه الباحثون إلى تأسيسه وتأصيله المتمثل في تعريف التفسير الموضوعي، وبيان أقسامه، وطريقة البحث فيه، وما يتعلق به كعلم مستقل.

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي:

نجد أن الباحثين أشبعوا القول في تعريف التفسير الموضوعي كل حسب ما توصّل إليه ورآه الصواب، وأعرض هنا ما توصلوا إليه في تعريفهم التفسير الموضوعي:

رجح مصطفى مسلم تعريفه بأنه: (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)[١] .

بينما عرفه سامر رشواني بأنه هو: (الكشف الكلي عن مراد الله ﷻ في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية)[٢].

وبيّن د.زيد العيص في تعريف مختصرٍ له أنه: (علم يعنى بالكشف عن موقف القرآن من قضية ما في ضوء ما يتصل بها من آيات، ضمن منهج ذي مجالات وخطوات)[٣] .

وخلص د.سليمان الدقور بعد أن عرض عددًا من التعريفات، ونقدها بأسلوب علمي إلى تعريفه بأنه: (منهج تفسيري يبحث في القرآن الكريم، بقصد تركيب صورة قرآنية شاملة حول موضوع ما من الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم، سواء أكان ذلك لإبرازها في ذاتها أم لمعالجتها في الواقع.)[٤]

وغيرهم من الباحثين الذين يكاد يتقارب تعريفهم للتفسير الموضوعي من ذلك، فهذا التقارب الظاهر يغني عن الزيادة عليه ويصل بنا إلى التأصيل فيه.

---

[١] مباحث في التفسير الموضوعي،ص:١٦.

[٢] منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،ص:٤٥.

[٣] التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص:٢١.

[٤] التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، سليمان الدقور، جامعة الأردن-كلية الشريعة-، ورقة بحثية لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، ص: ١٤.

المطلب الثاني: مجالات التفسير الموضوعي وألوانه:

بعد هذا العرض لتعريف علم التفسير الموضوعي أنتقل إلى خطوة أخرى أرحب وأوسع، وهي مجالات أو ألوان علم التفسير الموضوعي .

إن الباحث والمطلع على مجالات التفسير الموضوعي-والبعض يعدها ألوانًا- يجدْ تفاوتًا في تقسيمها وتصنيفها، فمنهم من يتوسع ومنهم من يختصر .

فهذا الدكتور مصطفى مسلم جعلها في ثلاثة ألوان: اللفظ، والموضوع،والسورة.[١] وتبعه في ذلك الدكتور صلاح الخالدي[٢].

أما الدكتور زيد العيص عرضها ضمن ستة مجالات: الموضوع،والسورة، وموضوع في السورة، والمفردة القرآنية، والأدوات، والمقالة التفسيرية[٣].

بينما الدكتور زاهر الألمعي جعلها على أمرين: اللفظ والموضوع، وبيّن أن بينهما ارتباط من بعض الوجوه[٤].وغيرهم من الباحثين الذين اختلفوا في تقسيمها.

ولما أن وقع ترابط وتشابه بين هذين اللونين رأيت تخصيص الفرق بين التفسير الموضوعي للموضوع والتفسير الموضوعي للفظ القرآني بالبيان، فكلما زاد التركيز على أمر ضاقت دائرة الخلاف فيه، وأصبح أقرب للظهور والبروز، ولأنهما أكثر لونين يقصدهما الباحثون بالدراسة والبحث؛ فكان أولى بالفصل المتصل بينهما ليَصُبَّ كل واحد منهما في إنائه المخصص له فيكون سائغًا شرابه لوارده.

التفريق بين التفسير الموضوعي للموضوع القرآني والتفسير الموضوعي للفظ القرآني:

إن هذا التداخل في مجالات التفسير الموضوعي حدا بالباحثين للتعريف بها، وبيان طريقة البحث فيها ليميزها الباحث والقارئ فيها، وقد أقر غير واحد منهم بوجود اشتراك ظاهر، وتشابه بارز بين التفسير الموضوعي للموضوع وللفظ القرآني بخلاف الألوان الأخرى التي استقلت بنفسها وبرزت معالمها.

---

[١] مباحث في التفسير الموضوعي،ص٢٣.

[٢] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،ص٥٩.

[٣] التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص١١٤

[٤] دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر الألمعي، الطبعة الخامسة، -الرياض-، ١٤٣٣ه، ص:١٠.

فدار تعريفهم للتفسير الموضوعي للفظ القرآني على كونه يتمثل في تتبع الباحث لفظة من ألفاظ القرآن الكريم ثم يجمع الآيات الواردة فيها أو مشتقاتها من مادتها اللغوية والإحاطة بتفسيرها لاستنباط دلالتها من خلال استعمال القرآن لها، ومن أمثلة تلك الألفاظ كالأمة، الأمانة، الجهاد، الزكاة،...وغيرها.

وتعد كتب الأشباه والنظائر وغريب القرآن من اللبنات الأولى التي جمعت دلالة الألفاظ في موضعها، ومن ثم توسعت نظرة الباحثين في التفسير الموضوعي لتصل إلى دلالة اللفظ في ضوء استعمال القرآن لها.

وهذا التطور هو ما أوجد التشابه بين التفسير الموضوعي والتفسير اللفظي.[١]

ولن أستغرق في عرض مواقف الباحثين من التفسير الموضوعي للفظ وما اعترض عليه ومن رأى أنه لا يندرج ضمن التفسير الموضوعي[٢] ..والذي أريد بيانه هنا أن التفسير الموضوعي للفظ القرآني تطور بشكل ملحوظ وسريع عند المعاصرين حتى يُظن أنه يحاكي التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، كيف لا ؟ وهما تحت مظلة سقف التفسير الموضوعي، إلا أن الخط الفاصل بينهما يتمثل في طريقة العرض والهدف من الدراسة لهما، لأن بعض المواضيع ظاهرها تصنف من اللفظ القرآني وهي تصح أن تدرج في الموضوع القرآني لكن الغاية عند الباحث هي التي تحدد ذلك.[٣]

فيمكن أن أعرف التفسير الموضوعي للموضوع القرآني بأنه: " منهج تفسيري موضوعي، يدرس موضوع قرآني، ويربط كل ما يتصل به بشكل مباشر أو غير مباشر في ضوء خطوات ومعالم وأهداف يسعى الباحث لإتباعها وإبرازها" .

وأعرف التفسير الموضوعي للفظ القرآني بأنه: "منهج تفسيري موضوعي، يدرس لفظ قرآني، ويشمل كل لفظ في معناه، في ضوء خطوات ومعالم وأهداف يسعى الباحث لإتباعها وإبرازها" .

---

[١] مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ٢٣.التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص:١٦٣.

[٢] منهجية البحث في التفسير الموضوعي، د. زياد الدغامين، دار البشر،-عمان-، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص:١٤.والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،ص: ١١.وقد رد على أبرز هذه الاعتراضات د.زيد العيص بأسلوب علمي منهجي مستدلًا بدراسات عليها، في كتابه التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص: ١٦٢-١٦٣.

[٣] التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص: ١٦٤.

فقولنا: (منهج) باعتبارهما أحد مجالات وألوان التفسير الموضوعي التي يبرزان من خلاله.

وقولنا: (يدرس "موضوع–لفظ" قرآني) لأنهما يقدمان كل ما يمكن أن يدور حول ذلك " الموضوع–اللفظ" المختار.

وقولنا: (في ضوء خطوات ومعالم وأهداف) هذه تمثل طريقة العرض والمراحل التي يسير معها الباحث في دراسة "الموضوع–اللفظة" من التتبع والجمع للآيات التي ورد فيها والتفسير والتحليل والربط بالدلالة القرآنية عليهما، مع تزامن للهدف المراد من الدراسة ليخلص إليه الباحث في آخر المطاف.

وقولنا في التفسير الموضوعي للموضوع: " ويربط كل ما يتصل به بشكل مباشر أو غير مباشر" يستل كل ما يتعلق بالموضوع سواء من قصة أو خبر أو ما توارى بين حدث ونحوه.

وقولنا في التفسير الموضوعي للفظ القرآني: (ويشمل كل لفظ في معناه) فيأخذ بالدراسة كل لفظ شابه، أو فسر اللفظ الذي يدرسه.

فعلى هذا وكما تقدم فإن الفرق بين التفسير الموضوعي للموضوع وللفظ القرآني دقيق يظهر من خلال الدراسة وهدف وتوجه الباحث المسبق له.

المطلب الثالث: كيفية البحث في التفسير الموضوعي:

قبل بيان طريقة البحث في التفسير الموضوعي أتطرق لبيان أنواع دلالة الألفاظ في الآيات؛ لأنها أساس ومدار البحث في التفسير الموضوعي والتي لابد من معرفتها ليتمكن الباحث من دراسة أي لون من ألوان التفسير الموضوعي.

أنواع دلالة الألفاظ في الآيات:

إن الناظر لألفاظ القرآن الكريم يرى أنها ليست ذات دلالة واحدة، فبعض الألفاظ تحمل دلالات عديدة مختلفة وأخرى محصورة محددة ... وقد تسابق المتقدمون والمتأخرون لبيان أنواع دلالة الألفاظ لما لها من أهمية في وضع الشيء في موضعه أياً كان... فكان ميدان رحب واسع استفاض في تناول أنواع دلالة الألفاظ أهل أصول الفقه بعد أهل اللغة، وإن كان الأولون توسعوا في بيانها لما يترتب عليها في بناء الأحكام، كما اجتهد المفسرون في استعمالها مما أوجد اختلافاً في تفاسيرهم، فلأهميته ودقته سأشير إلى تقسيم أنواع دلالة الألفاظ كما جاءت عند الجمهور، وهي على النحو التالي:

ذهب الجمهور إلى أن الألفاظ تدل على المعاني إما: بمنطوقها أو مفهومها.

أولًا: المنطوق: هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق.

وهو على قسمين: منطوق صريح، ومنطوق غير صريح.

فالصريح ينقسم إلى قسمين: الأول: دلالة المطابقة:وهي دلالة اللفظ على تمام مسماه، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، وسميت كذلك لأن اللفظ طابق المعنى. الثاني: دلالة التضمين:وهي دلالة اللفظ على جزء معناه، كدلالة الإنسان على الحيوان، فاللفظ تضمن ما يدل عليه.

وغير الصريح يطلق عليه: "دلالة الالتزام": وهي دلالة اللفظ على لازمه كدلالة الأسد على الشجاعة،حيث ينتقل الذهن عند سماعه اللفظ منه إلى المعنى اللازم. وينقسم قسمين: دلالة إشارة، ودلالة اقتضاء.

ثانيًا: المفهوم:هو ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق. وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة.

وللحنفية تقسيم آخر،فقالوا أن الدلالات أربع:

١-دلالة العبارة. ٢-دلالة الإشارة. ٣-دلالة الدلالة. ٤-دلالة الاقتضاء.

فهي قريبة من تقسيم الجمهور...[١]

"كما أشير إلى أن هناك عوامل مؤثرة في دلالة الألفاظ لم يغفل عنها الدارسون لآيات القرآن الكريم،وهي على الإجمال:

- السياق: متمثل في السياق اللغوي وسياق الحال.
- التغير الدلالي: المتأثر بتطور علاقة اللغة مع المجتمع و الحياة الإنسانية وعوامل أخرى متداخلة يصعب فصل بعضها عن بعض.
- اللامساس: إذ أسهمت هذه الظاهرة في تجنب كثير من الألفاظ المكروهة، أو الدلالات الصريحة التي تثير مشاعر الخجل ويستقبح ذكرها، وترجع لعدة عوامل لتجنبها."[٢]

---

[١] انظر: أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري، دار النوادر،الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ، ص:٣٥٠-٣٥٥.

[٢] انظر:الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، مصطفى محمد خضر،مؤسسة حورس الدولية، الطبعة الأولى،-الإسكندرية-،٢٠١٠م،ص: ٤٠٦-٤٠٧.

إن دراسة الألفاظ القرآنية ودلالتها غير محددة فعندما يبحر الدارس فيها فإنه لا يصل إلى منتهاها، كما قدمنا بقول علي ﷺ في وصف القرآن:«..هو الذي لا تزيغ به الأهواء،ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ..»[1] .

لذا فثمة بعض الألفاظ التي يدرسها الباحث جنبًا إلى جنب متعلقها لا لذاتها، فأشكل على الكثيرين فهم اللفظة ومعرفة دلالاتها[2]، فلو أمعن النظر فيها لتبين له الحق في مرادها، لذلك حسن الإشارة إلى ذلك والتنبيه عليه، وليجمع ما بَعُدَ وَقَرُبَ من موضوع بحثه فيحسن البناء ويتمه ويجمله.

بعد هذا أعود لبيان طريقة البحث في التفسير الموضوعي:

تميز علم التفسير الموضوعي بطريقة بحث خاصة به، متمثلة في مراحل يسير فيها البحث حتى يتم دراسته للون التفسيري الذي يبحث فيه، وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة البحث والجمع.

المرحلة الثانية: مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة.

ثم تنطلق من هذه المرحلتين خطوات البحث في التفسير الموضوعي المتمثلة في:

١-اختيار الموضوع القرآني للبحث، بعد تحديد معالم حدوده، ومعرفة أبعاده في الآيات.

٢- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، إما بألفاظه الصريحة، أو القريبة منه، أو المتصلة به.

٣-ترتيب الآيات، وتسجيل ما يدور حولها من: أسباب نزول، ونسخ، وقراءات صحيحة، وغير ذلك مما يتعلق بها.

٤-فهم الآيات التي جمعت من خلال قراءة ودراسة تفسيرها من كتب التفسير التحليلي.

٥-تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة مستخلصة من الآيات نفسها،ووضع مخطط للبحث يحدد منهجيته، وطريقته، وتفصيل أبوابه وفصوله ومباحثه.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه،[٥/١٧٣(٢٩٠٦)].

[2] وقد أشار د.زيد العيص "إلى أن الموضوعات المتصلة بدراسة الألفاظ كثيرة، فمنها ما يدرس الألفاظ من جانب علاقتها بمدلولها أو علاقة مباني الألفاظ بمعانيها..."،التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص: ١٤٩.

٦-الكتابة لموضوع بحثه، مع الحرص على دقة الصياغة ظاهريًا وموضوعيًا، ومراعاة خلو الكتابة من الأخطاء الإملائية والنحوية، والاهتمام بعلامات الترقيم، وإدراج اللطائف في مواضعها، وربطه بالواقع المعاصر ومشكلاته، وعلاجها وغيره وفق مقاصد القرآن والتي هي تحت مظلة موضوعه الذي يكتب فيه، وإخراجه وفق توجيهات البحث العلمي.

وتختلف خطوات البحث في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية فتأتي على النحو التالي:

١-التقديم للسورة بتمهيد، يعرف فيه بأمور تتعلق بالسورة من حيث: اسمها التوقيفي والاجتهادي، وزمن ومكان نزولها، وغير ذلك مما يتعلق بها.

٢-تحديد الأهداف الأساسية للسورة، ومقاصدها الرئيسة.

٣-تقسيم السورة الطويلة والمتوسطة إلى أقسام وتوزيع آياتها على تلك الأقسام، وربطها بالأهداف الأساسية للسورة.

٤-الاطلاع على تفسير السورة من كتب التفسير التحليلي، واستخلاص أهم حقائق السورة، والدلالات التي تقررها، والإشارة إلى أبعاد السورة الواقعية، وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصر.

٥-بعد ذلك يشترك في الخطوة السادسة "الكتابة لموضوع بحثه" وما يتعلق بها.

فهذه المراحل والخطوات هي التي اتفق عليها معظم من بحث وكتب في التفسير الموضوعي، وإن تفاوت بعضهم عن الآخر إما بتفصيل أو تقسيم ونحوه، مع التشديد على الالتزام بقواعد منهجية للبحث في التفسير الموضوعي.[١]

ثم إن هذه هي الطريقة البحثية في ألوان علم التفسير الموضوعي التي تبعها أغلب الباحثون في علم التفسير الموضوعي، وإن حصل خلاف فهو يسير باعتبار اللون الذي بحث فيه من ألوان علم التفسير الموضوعي.

---

[١] انظر:مباحث في التفسير الموضوعي، ص:٣٧-٤٦،التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل،ص:١٧١-٢٢٩، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:٦٩-٩٣.

المبحث الثالث

المرحلة الثالثة: بروز أهمية التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية وأثره.

رغم أن التفسير الموضوعي ظهر متأخرًا إلا أنه أثبت مكانته في صفوف العلوم القرآنية، فحظي بالعناية والاهتمام وترتب على ذلك آثار تحمد وتسطر له هذه الأهمية والأثر.

المطلب الأول: بروز أهمية التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية:

تسابق الباحثون في إظهار وإبراز أهمية التفسير الموضوعي، وما يترتب على هذا العلم من أثر تميز به عن غيره من العلوم الأخرى، فجاء بيان أهمية التفسير الموضوعي منهم متقارباً جدًا، أجملها ثم أضيف عليها ما توصلت إليه فيه، فيما يأتي:

تمثلت أهمية التفسير الموضوعي إجمالًا في كونه:

- الوعاء الذي يجمع علومًا شتى عن موضوع قرآني على صعيد واحد.
- يلبي حاجات العصر المتسم بالتطور والتجديد ويواكب الأفكار الجديدة
- يسهم في إيجاد الحلول ومعالجة المشكلات بأسلوب منهجي قرآني.
- يدفع الشبهات التي تثار حول قضية قرآنية،ويبرز وجوه الإعجاز القرآني.
- يتحقق للباحثون ما أمروا به من تدبر القرآن، والوصول إلى الغاية من الآيات والموضوعات القرآنية، ويرتقي بهم في سلم التفكير العلمي، ويكسبهم مهارات بحثية عديدة.
- يقدم منهج دعوي للدعاة والمصلحين، ويدعو للإقبال لقراءة المواضيع القرآنية بأساليب سهلة مقربة للجميع مما يؤدي إلى تجديد الخطاب الديني.
- يؤصل الدراسات القرآنية خصوصًا،ويؤهل ويخدم الدراسات في مجالات وعلوم أخرى عمومًا على ضوء القرآن الكريم.
- يُستشرف أن يكون علم التفسير الموضوعي أساس لعلوم أخرى تنطلق منه.

فهذا ما أجمع عليه أغلب الباحثين[1] حول أهمية التفسير الموضوعي، ولا يمنع أن يضاف أو يستحدث عليها غيرها، إذ أن التفسير الموضوعي حظي بأهمية كبرى في

---

[1] انظر: كل من كتب في علم التفسير الموضوعي، مثل د. مصطفى مسلم (مباحث في التفسير الموضوعي)، ود.صلاح الخالدي (التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق)، د. زيد العيص (التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل)، د. زاهر الألمعي (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، وغيرهم.

مجال الدراسات القرآنية وتفاضل كل لون بمقدار الأهمية التي امتاز بها، بالرغم من كون الموضوع القرآني حاز فضل السبق حتى قيل فيه:" إذا أُطلق اسم (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه"[1]،و"هو أقرب الألوان الثلاثة إلى حقيقة التفسير الموضوعي"[2]،إلا أنه ظل كل لون من ألوانه يحمل أهمية لا تقل عن الآخر.

وفيما يلي أضيف ما توصلت إليه في بيان أهمية التفسير الموضوعي، سواء للفظ القرآني، أو الموضوع القرآني، أو السورة القرآنية :

١- يعد اللفظ القرآني بذرة النواة التي ينطلق منها الباحث في التفسير الموضوعي في شتى الألوان .

٢- إن تمييز اللفظ القرآني هو ما يفتح المجال لعلوم أخرى لتشارك في دراسة الموضوع .

٣- يوفر اللفظ القرآني خيارات متعددة أمام الباحث سواء كان ذا معانٍ مختلفة في ذاته أو متعلق بما بعده .

٤- تعد دراسة اللفظ القرآني في التفسير الموضوعي أكثر وضوحًا وأسرع تداولًا عند المهتمين بالدراسات القرآنية.

٥- إن فهم اللفظ القرآني وما يتعلق به مما يعين على فهم الآيات وتوسيع دلالتها.

٦- إن التطور في منهج دراسة اللفظ القرآني ارتقى به في مجالات التفسير الموضوعي، وقدم هذا التطور مخرجات متنوعة تخدم التفسير الموضوعي في ذاته مظهرًا مدى الترابط بين مجالاته.

٧- يجذب الموضوع القرآني الدارسين والمطلعين والمتدبرين لآيات القرآن الكريم لسهولة القراءة فيه وتكاملها.

٨- يوسع الموضوع القرآني الأفق لكل طالب من كتاب الله العزيز كل بحسبه.

٩- تمثل السورة القرآنية لبنة من اللبنات التي قد يعتمد عليها في التفسير التحليلي للقرآن الكريم.

١٠-تقرب السورة القرآنية القراءة التفسيرية بسهولة ويسر على من يبحث عنها.

---

[1] مباحث في التفسير الموضوعي،ص:٢٧.

[2] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،ص:٧٨.

وما كانت الغاية من التفصيل في بيان أهمية التفسير الموضوعي في كل لون من ألوانه مع ما تقدم إلا أن تتكامل الرؤية؛ لتفتح آفاق المعرفة فتدعو أصحاب الهمة إلى ولوجه والخوض في رياضه .

المطلب الثاني: أثر التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية:

بعد إبراز أهمية التفسير الموضوعي في الدراسات القرآنية ينكشف جليًا الأثر الراسخ للتفسير الموضوعي، وهو خدمة كتاب الله ﷻ على كل صعيد، سواء في بيانه أو مدارسته، أو تدبره، أو تقريبه للعامة والخاصة، ولم يقف ذلك الأثر عند هذا الحد بل تطور التفسير الموضوعي وتوجهت الجهود فيه.

وهذا التطور متمثل في التفات الباحثين والمهتمين بخدمة كتاب الله ﷻ من خلال التفسير الموضوعي، ويمكن إبرازه على شقين، التأليف والتصنيف، الجمع والنشر للدراسات في التفسير الموضوعي.

أولًا: التأليف والتصنيف في التفسير الموضوعي للفظ القرآني:

توسع الباحثون وطلاب العلم في البحث والتصنيف في التفسير الموضوعي للفظ القرآني، وذلك كما قدمت ليسره وسهولته، ووضوحه، وقرب تناوله، وغيرها من الأسباب الأخرى، إلا أنك في عصرنا الحاضر تكاد لا تجد موضوعًا إلا بُحث وأُتي عليه من جميع جوانبه!، وليس القصد في إيراد ذلك التقليل منه، بل إنه لشرف وفضل أن يبحث في كل ما تعلق بآي القرآن، لكن القصد أن مثل هذه الجهود والطاقات التي تقدم وتسعى لم لا تستثمر!.

ثانيًا: الجمع والنشر للدراسات في التفسير الموضوعي:

وهذا ما توجهت إليه وقامت به بعض الجهات مشكورة مأجورة، سواء أكانت مجلات علمية، أو مراكز بحثية، والتي تعد الآن محاضن لهذا العلم وما يحمل من دراسات نفيسة في بابها.

كمركز تفسير في إنشائه لـ (موسوعة التفسير الموضوعي)، وغيرها التي سيأتي بيانها في موضعها، فهذا هو الاستثمار الأمثل لموضوعات القرآن، أما أن تذهب جهود بعض الطلاب والباحثين ثم لا ترى النور مع ما فيها من التميز فهذا هو الخسارة والله.

كما لو يرى أهل العلم والخبرة والنظر في فتح مجال جديد للبحث في التفسير حتى يؤتى ثماره، ويمطر كل ذي وبل وبله فيه.

المبحث الرابع

نماذج تطبيقيه لألوان التفسير الموضوعي.

يحسن في نهاية المطاف في "التفسير الموضوعي تاريخه ومراحله" إيراد نماذج بحثية درست ألوان التفسير الموضوعي الثلاثة؛ اللفظ، الموضوع، السورة، إذ يجدر أن نقطف بعض ثمار هذا العلم ونتذوق شيئاً من جنى هذا التطواف، فسأورد ما تيسر من الأمثلة على كل لون ليتبين لنا عظيم التفسير الموضوعي علماً شامخاً في الدراسات القرآنية، وتظهر مع هذه الأمثلة معالم الرحلة التي سار فيها وما وصل إليه.

المطلب الأول: نماذج تطبيقية للتفسير الموضوعي للفظ القرآني:

تناول عدد من الباحثين ألفاظاً قرآنية بالدراسة الموضوعية وفق المنهج الذي قرره كل واحد منهم وارتضاه في دراسته.

فمن ذلك دراسة لفظ (الران) التي قام بها د.أحمد رحماني، فرغم أنها لم ترد إلا مرة واحدة في القرآن لم يمنعه ذلك من دراستها، بل وجد منها أرض خصبة لإظهار حقيقتها، ولم يعوقه نقص أحد جوانب دراستها المتمثل في عدم وجود اشتقاقات للفظة.

فقد درسها من حيث هي ظاهرة ،مستعيناً في بيانها بحديث رسول اللهﷺ:«إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تغلق قلبه، فهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] »[1].

فبين كيف يتكون الران، والعوامل التي تزيد فيه، ثم استعرض آثار الران السيئة مفصلاً فيها.

ووضح أنه يوجد حالات متفاوتة في الدرجة تمثل صورًا للران كالختم ، والطبع، والغلف،.. مؤكدًا في دراسته إلى ما قاله ابن عرجون في أن أي تكرار في القرآن لفظاً ومعنىً إنما هو تأسيس لحقيقة زائدة،وأن التغيير في تلك المصطلحات إنما هو تابع لتغير الأحوال والوقائع.

---

[1] أخرجه النسائي في سننه الكبرى، [باب ما يفعل من بلي بذنب وما يقول،(١٦٠/٩) ١٠١٧٩]، وفي صحيح ابن حبان، [باب ذكر وصف طبع اللهﷻ على قلب التارك،(٢٧/٧)٢٧٨٧]، حسنه الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده قوي.

إن هذه الدراسة التي قدمها د.أحمد رحماني للفظ قرآني لم يرد إلا مرة واحدة جديرة بالذكر ودافعة للبحث والدراسة في ألفاظ القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه[١].

ومن الدراسات أيضًا (مادة جهل في القرآن الكريم) عند د.صلاح الخالدي، والتي سار فيها وفق خطوات لمرحلتين كما قرره في دراسة المصطلح القرآني عنده.

فتناول بداية معنى الجهل في اللغة، متتبعًا معناه من كتب اللغة والمعاجم، ومن ثم ربط بين معنى الجهل والسياق القرآني الوارد فيه بحسب اشتقاقها، مبيناً ذلك بما جاء في كتب التفسير، محللًا ذلك باللطائف التي جمعها مع ما يتناسب المقام، رابطًا ذلك بالواقع، مراعيًا التقسيم، وحسن التنظيم في العرض[٢].

ومن الدراسات أيضًا سلسلة (بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي) لأحمد حسن فرحات الذي عني بهذا اللون فأصدر منها كتاب (الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية)، و(الذين في قلوبهم مرض)، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، وغيرها..

ومن الأمثلة كذلك ما أشار إليه د. زيد العيص في ثنايا حديثه عن المفردة القرآنية إلى ما تحدث فيه ابن القيم عن (الذين أتيناهم الكتاب) فقد عرض هذا اللفظ وبين دلالته واستعرض أقسامه الأربعة بطريقة التفسير الموضوعي[٣].

فهذه الأمثلة وما في حكمها تبين اختلاف المنهج الذي يتبعه الباحث وتعدد الوسائل التي ترمي إلى غاية في ذهنه من خلال دراسته للفظ القرآني بصبغة التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير الموضوعي للموضوع القرآني:

تسابق الكثير من الباحثين لدراسة موضوع قرآني بالدراسة التفسيرية الموضوعية، والتي يعد فيها هذا اللون كالعلم فوق الجبل؛ لاشتهاره به كما تقدم بيانه، فنهج الباحثون والدارسون في هذا الميدان منهجهم بالبحث والدراسة لمواضيعهم وفق المنهج البحث التفسيري الموضوعي، وتفرد كل واحد منهم بأسلوبه ومنهجه الذي يتماشى مع موضوعه في دراسته.

---

[١] انظر: التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً، ص: ١٢٠-١٣٢.

[٢] انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:٩٧-١٩٦.

[٣] انظر: التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، ص:١٥٣-١٥٧.

فمن ذلك دراسة موضوع: (الألوهية من خلال آيات القرآن الكريم) والتي قام بها د.مصطفى مسلم، والتي افتتحها بمقدمات بين يدي الموضوع، وأدرج تحتها عددًا من المباحث، ثم انتقل إلى التحدث عن أبرز أنواع الأدلة على توحيد الله ﷻ في القرآن الكريم وضمنه عددًا من المباحث، وختم موضوع (الألوهية من خلال آيات القرآن الكريم) بإيراد أجمع الآيات التي سيقت للاستدلال على توحيد الله ﷻ الآيات الخمس التي جاءت في سورة النمل[1].

وأيضًا من الدراسات الموضوعية موضوع: (الشورى في القرآن) التي قام بها د. صلاح الخالدي والتي جعلها في ثلاثة مباحث، الأول: معنى الشورى في اللغة. الثاني: الشورى في السياق القرآني. الثالث:وقائع من الشورى في القصص القرآني. وأدرج تحت كل مبحث المطالب المتعلقة به، مفصلًا ذلك بالبحث والدراسة، وقد قدم له قبل ذلك بمقدمة موضحًا فيها ما يتعلق بالشورى كموضوع قرآني، ومطبقًا أسس وخطوات البحث في التفسير الموضوعي التي أوردها في كتابه، وأشار كذلك في مقدمته لعدد من الكتب الإسلامية التي تخصصت ببحث الشورى في الإسلام، ثم سار في مباحثه ومطالبه خاتمًا موضوعه "الشورى في القرآن" بوصفه؛ أنه موضوع قرآني حياتي، تحدث عنه القرآن وقرره وأمر به، وجعله أساسًا لحياة المسلمين الفردية والجماعية، مظهرًا لسعادتهم وتوفيقهم ونجاحهم.[2]

وفي هذا اللون خصوصاً ظهرت الكثير من الرسائل العلمية، وممن سعى في بيان هذه الدراسات وبيان نسبتها في الجامعات السعودية د. فهد مبارك الوهبي، في مقال نشره على موقعه عنونه بـ "تجربتي مع حقول الدراسات القرآنية"، وهي تجربة جديرة بالاطلاع والاستفادة منها [3].

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية :

لما أن كان تفسير سورة قرآنية من ألوان التفسير الموضوعي أدلى الباحثين بدلائهم في البحث فيه، إلا أنه أقل من اللونين السابقين بحثًا ودراسة، مع ذلك تفرد كل من كتب فيه بطريقته في عرض كتابته وفق التفسير الموضوعي.

---

[1] مباحث في التفسير الموضوعي، ص:٩٣-١٦٢.

[2] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:٢٠٣-٢٦٧.

[3] موقع د. فهد مبارك عبد الله الوهبي، :http//www.alwahbi.nwtL/article/١١٠٧

فمن السور التي درست دراسة تحت مظلة التفسير الموضوعي سورة الكهف، والتي قام بها د. مصطفى مسلم ببحث أسماه: (القيم في ضوء تفسير سورة الكهف)، وجاءت دراسته لهذه السورة وفق الطريقة التي أقرها في كتابه لتفسير سورة تفسيرًا موضوعيًا، حيث بدأه بتمهيد لسورة الكهف بيّن فيه اسم السورة وعدد آياتها وخصائصها، ووقت نزولها وسببه، وأهدافها، والمناسبات فيها، ثم انتقل للموضوعات الأساسية في السورة جاعلًا ذلك على هيئة مقاطع خمسة، فالأول: قصة الفتية المؤمنين، والثاني:مفارقات ومواقف في بواعث العزة، والثالث: وقفة تأمل في المآل والمصير، والرابع: الرحلة في طلب العلم، والخامس: قصة ذي القرنين (الرجل الطواف). وتحت كل مقطع أدرج ما يتعلق بها من مطالب تبين علاقتها بالمقطع القرآني من السورة، ثم ختمه ببيان لخاتمة سورة الكهف وما تضمنته من حقائق.[١]

كذلك من الدراسات التفسيرية الموضوعية للسورة قرآنية دراسة (سورة محمد) والتي قام بها د. صلاح الخالدي[٢]، و(سورة المنافقون) عند د. زيد العيص[٣]، وسور قرآنية أخرى دُرست دراسة موضوعية في عدد من الرسائل العلمية[٤]، وأيضاً من أجمع ما كتب في هذا اللون (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)، جاء هذا الكتاب أشبه بالموسوعة في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وهو جهد يذكر ويشكر[٥].

وبعد هذا العرض اليسير لبعض النماذج التطبيقية للدراسات العلمية لألوان التفسير الموضوعي يظهر لنا جليًا عظم هذا العلم وتاريخه ومراحله التي سار فيها لينتظم كعلم رئيس في حقل الدراسات القرآنية[٦].

---

[١] مباحث في التفسير الموضوعي، ص:١٦٥-٣٢٥.

[٢] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص:٢٧٣-٣٣٠.

[٣] المرجع السابق، ص: ٣٥٩-٣٨١.

[٤] من ذلك: سورة الملك دراسة في التفسير الموضوعي، ياسر إسماعيل راضي، نشرته جامعة طيبة، عام ١٤٣٥هـ، و(التناسق الموضوعي في سورة الأنفال)، بدر الذيابي، وهي رسالة علمية للدرجة الماجستير في جامعة أم القرى، عام ١٤٣٣ه. وغيرها من الرسائل العلمية في هذا المجال.

[٥] انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من العلماء، بإشراف د.مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي،-جامعة الشارقة-، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه.

[٦] الميادين زاخرة بالدراسات التفسيرية الموضوعية ولكن حرصت على انتقاء ما كتبه من ألف في علم التفسير الموضوعي لموافقته ما كتب فيه، ولشمول علمه به، فيكون أقرب وأظهر فيه.

الخاتمة:

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، الحمد لله نستزيد به النعم، ونسأله فضل وكرم ومنّ، وبعد:

جاء هذا البحث « التفسير الموضوعي تاريخه ومراحله » والذي دار حول أربعة مباحث خلصت في خاتمته بنتائج وتوصيات وهي على النحو التالي:

نتائج البحث:

١- بيان علو شأن كتاب الله ﷻ والمشتغلين فيه، وسعيهم الحثيث لاستظهار مكنونه وبيانه.

٢- تواتر العلماء وطلبة العلم على خدمة كتاب الله ﷻ، وإفراغ الوسع والجهد فيه ما أمكن.

٣- تدرج ظهور التفسير الموضوعي بمراحل حثيثة، واشتداد أمره، وخروجه كعلم مستقل في ميدان الدراسات القرآنية.

٤- التأكيد على بروز التفسير الموضوعي وتميزه وتفرده في باب الدراسات القرآنية.

٥- لفت النظر للجهود المقدمة في ميدان التفسير الموضوعي واستمرارها وتطورها.

٦- تسابق الباحثين والدارسين في مضمار التفسير الموضوعي بألوانه الثلاثة، اللفظ القرآني، والموضوع القرآني، والسورة القرآنية بصور متفاوتة.

٧- تدبر حفظ الله ﷻ لكتابه، وتسخير عباده للقيام به فضلًا منه ﷻ وشرفًا لهم.

أبرز التوصيات:

١- تركيز الاهتمام على إظهار وتنظيم الدراسات العلمية في التفسير الموضوعي سواء التي يقدمها العلماء والباحثون المتمكنون، وطلاب الدراسات العليا المبحرون في هذا الميدان.

٢- حث المؤسسات والمراكز العلمية على الاستفادة مما احتوت عليه الدراسات القرآنية الموضوعية، والعمل بما جمعت بين ثناياها من نتائج وتوصيات.

٣- جرد جميع الدراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، واعتماد قاعدة بيانات عالمية لها؛ لتكون مرجعًا لكل من أراد الكتابة في التفسير الموضوعي حتى لا تتكرر، ولتوفر عليهم الكثير من الوقت والجهد.

وأخيراً كانت هذه رحلة في ثنايا علم عظيم شأنه، عالٍ قدره، عميق ممتد بحره، هتان مورده، وما أتيت منه إلا القليل، واستغفر الله فيه من الزلل، واستميح عما يُرى فيه من عيب أو خلل، وما الكمال المطلق إلا لله ﷻ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، وعلى نبينا محمد وآله وصحبه وسلم صل ﷺ.

فهرس المصادر والمراجع:

١- أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، عبد الإله حوري الحوري، دار النوادر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢- الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، مصطفى محمد خضر، مؤسسة حورس الدولية، الطبعة الأولى، الإسكندرية،٢٠١٠م.

٣- التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، د. سليمان الدقور، جامعة الأردن-كلية الشريعة-ورقة بحثية لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق.

٤- التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، د. زيد عمر العيص، مكتبة الرشد،-الرياض-، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .

٥- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، الطبعة الثانية،- الأردن-، ١٤٢٨ه.

٦- التفسير الموضوعي في المدرسة القرآنية، باقر الصدر، الطبعة الأولى، دار العالمية للطباعة، -بيروت-١٤٠٩ه.

٧- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من العلماء، بإشراف د.مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي،-جامعة الشارقة-، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه.

٨- التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقًا، د. أحمد رحماني، جامعة باتنة،-الجزائر-.

٩- التناسق الموضوعي في سورة الأنفال، بدر الذيابي، رسالة علمية لدرجة الماجستير في جامعة أم القرى، عام ١٤٣٣ه.

١٠-الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير،-بيروت-، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ ه.

١١-الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٢-دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زاهر الألمعي، الطبعة الخامسة،- الرياض-،١٤٣٣ه.

١٣-ديوان الصنعاني، دار التنوير، -بيروت. لبنان-، ١٤٠٣هـ

١٤-السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخرساني النسائي، تحقيق:حسن شلبي، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،-بيروت-، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.

١٥-سورة الملك دراسة في التفسير الموضوعي، ياسر إسماعيل راضي، نشرته جامعة طيبة، عام ١٤٣٥هـ.

١٦-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم الدارمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،-بيروت-، الطبعة الثانية، ١٤١٤ه.

١٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.دار المعرفة – بيروت-،١٣٧٩.

١٨-فصول في أصول التفسير، د.مساعد بن سليمان الطيار، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي،-الرياض-١٤٢٠ه.

١٩-مباحث في التفسير الموضوعي، د.مصطفى مسلم، دار القلم،-دمشق-،الطبعة الثالثة،١٤٢١ه.

٢٠-المسند الصحيح المختصر.مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-.

٢١-معالم في أصول التفسير، د.ناصر بن محمد المنيع، دار الصميعي، -الرياض-، ١٤٣٣ه.

٢٢-مناهج التفسير، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف،-الإسكندرية-،١٩٧١.

٢٣-منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،سامر رشواني،دار الملتقى،-سوريا-، الطبعة الأولى،١٤٣٠ه.

٢٤-منهجية البحث في التفسير الموضوعي، د.زياد الدغامين، دار البشر،-عمان-، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٢٥-موقع د. فهد مبارك عبد الله الوهبي، http://www.alwahbi.nwtL/article/١١٠٧